

مكافحة الأعداء الثلاثة في منظور رسائل النور

Fight Against Three Enemies in the Light of Rasail-al-Nur

Professor Dr. Hamid Ashraf Hamdani

Professor of Arabic,

University of The Punjab, Lahore

Abstract

Baduizzaman Nursi has been successful in organizing his thoughts in the very beginning of his struggle. He has been striving in accordance with his established format .Issue of three enemies is of central importance in the format introduced by him. Nursi has mentioned these three enemies in all his article and books. He believes that our real enemies are ignorance, destitution and disharmony. We will wage fight against them through knowledge, industry and harmony. Nursi has mentioned time and again that these enemies are the cause of all social evils. The article sheds lights on these enemies and fight against them in light of Rasail al Nur .

Key words: Baduizzaman Nursi, Enemies, Ignorance, Destitution, Disharmony

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد قام الإمام بديع الزمان النوري منذ بداية عمله بتنظيم أفكاره التي سي Jihad في سبيلها طوال حياته ضمن برنامج ومنهاج معين. قضية "الأعداء الثلاثة" تُعد مرتكزاً وقلب هذا البرنامج الذي وضعه لنفسه. وقد ذكر النوري هذه الأعداء الثلاثة في جميع مقالاته وكتاباته، وعبر عن أفكاره هذه بأساليب مختلفة إذ يقول: "إن أعداءنا هي الجهل والبؤس والفرقة، وسنواجه هذه الأعداء بأسلحة الصناعة والمعرفة والاتفاق".^(١)

إن أعداء بديع الزمان الثلاثة هي: الجهل والفقر والفرقة. وقد ذكر "سعید القديم" هذه الأعداء الثلاثة في جميع مقالاته وكتاباته، وعبر عن أفكاره هذه بأساليب مختلفة إذ يقول مرة: "إن كل مؤمن مكلف بإعلاء كلمة الله، والوسيلة الكبرى لهذا في هذا الزمان هو التقدم المادي. ذلك لأن الآجانب يسحقوننا تحت سيطرتهم واستبدادهم المعنوي بوساطة أسلحة العلوم والصناعات، وسنواجه نحن بأسلحة العلم والصناعة ضد الجهل والبؤس والفرقة التي هي أعدى أعداء إعلاء كلمة الله".^(٢)

وفي مقالة أخرى يقول: "إن أعداءنا هي الجهل والبؤس والفرقة، وسنواجه ضد هذه الأعداء بأسلحة الصناعة والمعرفة والاتفاق".^(٣)

وفيما يلي نتناول هذه الأعداء الثلاثة بنوع من التفصيل من خلال رسائل النور:

(١) العدو الأول: الجهل

قد صرّح النوري في مواضع كثيرة من رسائله أن جميع المفاسد الاجتماعية تُتبع من هذه الأعداء الثلاثة وبالتالي من الجهل: "ثم إن أعداءنا ليسوا هم "أي الآجانب" بل إن عدونا هو الجهل و ما تولد منه من منع إعلاء كلمة الله و مانتج عنه من مخالفات الشرعية. ثم البؤس و ثمرته سوء الأخلاق و سوء التصرفات، والخلاف وما يتولد عنه من الحقد والنفاق. وغاية اتحادنا هي الهجوم على هذه الأعداء الخالين من الإنفاق".^(٤) ويقول: "إذا كان الأرمن قد أعلموا عداوتهم لنا، فإنهم فعلوا ذلك تحت إمرة هؤلاء المفسدين الثلاثة".^(٥)

والجهل في منظور النوري رأس الشرور حيث يقول: "ثم إن الجهل هو عدونا ويسعى لإبادتنا، وهو ابن الاغا" السيد" أما البؤس فهو ابنه والخصومة حفيده".^(٦)

وبديع الزمان الذي يرى الجهل أساس كل سوء، يرى أن الخلاص يكون بالعلم،

يستشف هذا المعنى من قوله: "كنت أرى الأحوال البائسة للعشاير في الولايات الشرقية، فأدركت أن جزءاً من سعادتنا الدنيوية سيتحقق بالعلوم الجديدة للمدنية".^(٧)

ويعد بديع الزمان من القلائل من بين علماء زمانه الذين أعطوا أهمية كبيرة للعلم، إذ من الصعب أن نجد رجل علم في أوائل هذا العصر يملك كل هذه البصيرة النافذة عن مستقبل العلم. يشهد له قوله: "إن البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستتساب إلى العلوم، وتتصب إلى الفنون، وستستمد كل قوتها من العلوم والفنون في تسلمه العلم زمام الحكم والقدرة".^(٨)

(٢) العدو الثاني: البوس

عرف الجرجاني الفقر بأنه: فقد ما يحتاج إليه، وأما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقراً.^(٩) فعدم قدرة الإنسان على نيل احتياجاته الأساسية في الحياة يسمى فقراً، وهو الفقر المادي المرادف لمعنى الحاجة، ويعني بديع الزمان بـ"البوس" التخلف المادي والتقني الذي أصاب المسلمين. وقد عبر عنه بعده تعبير منها "الفقر" أو "الجوع" أو "الحاجة" .. إلخ. وقد ربط النورسي حديثه عن الفقر بعقيدة الرزق، وأن الله تكفل بأرزاق الناس، وأن المعاصي تؤدي إلى الحرمان والفقر، وفي هذا المعنى يقول: "إن الرزق قسمان: القسم الأول: هو الرزق الحقيقي الذي توقف عليه حياة المرء، وهو تحت التعهد الرباني بحكم الآية ﴿وَمَا مِنْ ذَبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رُزْقُهَا﴾^(١٠)، ويستطيع المرء الحصول على ذلك الرزق مهما كانت الأحوال إن لم يتدخل سوء اختياره، دون أن يضطر إلى فداء دينه أو التضحية بشرفه وعزته.

القسم الثاني: هو الرزق المجازي، فالذي يسيء واستعماله لا يستطيع أن يتخلص عن الحاجات غير الضرورية التي غدت ضرورية عند نتائج الابتلاء بلاء التقليد، وثمن الحصول على هذا الرزق باهظ جداً ولا سيما في هذا الزمان، حيث لا يدخل ضمن التعهد الرباني، إذ قد يتغاضى ذلك المال لقاء تضحيته بعزته سلفاً راضياً بالذلّ، بل قد يصل به حد السقوط في هاوية الاستجداء المعنوی، والتنازل إلى تقبيل أقدام أناس منحطين وضياعين، بل قد يحصل على ذلك المال المنحوس الممحوق بالتضحيه بمقدساته الدينية التي هي نور حياته الحالدة".^(١١)

ويعرف بديع الزمان بهذا الفقر وبهذا التخلف الذي يئن تحت عبئه العالم الإسلامي. ولكنه لا يجعل هذا - كما يفعل بعض الماديين - وسيلة يأس يدفع الناس إلى حالة من الشلل

يمنعهم من القيام بأية محاولة ومن بذل أي مجهد، على العكس من ذلك فإنه يجعل هذا دليلاً على قناعته بأن المسلمين سيتقدمون في المستقبل وسيحقون بالغرب في مضمار العلم والتقنية بل سيسبقونه.^(١٢) ويشرح ذلك بالحاجة التي ظهرت في الغرب، والفاقة هي التي دفعته إلى التقدم. ويستند في هذا الصدد إلى المثل السائر: "الحاجة هي معلم المدنية".^(١٣)

العدو الثالث: الفرقـة

يحتل هذا الموضوع الذي تناولته رسائل (المكتوبات والسانحـات والمعـات والكلـمات...) مساحة واسعة منها وأولـته اهتماماً واضحاً من خـلال عرضـه وشرحـه وتحلـيلـه مطلـقة عـلـيه أحـيانـاً بـ(الـفـوضـى) وـ(الـنـفـاق) وـ(الـخـصـومـة) وـ(الـتـنـافـر) وـ(طـارـحة أـسـس عـلـاجـه مـن خـلال) (الـاتـحاد) وـ(الـاـتفـاق) وـ(الـلـوـفـاق) وـ(الـتـسـانـد) وـ(الـتـعـاوـن) وـ(الـأـخـوـة) وـ(مـقـسـمة إـيـاه إـلـى خـلاف فـكـري وـفـقـهي وـخـلاف فـي الـعـلـم وـالـتـرـبـيـة، أـمـا الـاخـتـلـاف فـكـري فـهـو النـاشـئ عـن الـاجـتـهـاد وـتـعـدـد الـآـرـاء وـتـحـوـل مـسـارـهـذا الـاخـتـلـاف مـن اـخـتـلـاف إـيـجابـي يـهـدـف إـلـى الـوصـول إـلـى الـحـق كـمـا قال عـنـه الرـسـول صـلـى الله عـلـيه وـسـلـمـ ((اـخـتـلـاف أـصـحـابـي رـحـمـة))^(١٤). أـيـعـنـدـما يـروـج الـمـسـلـمـون لـمـسـلـكـهـم دونـأـنـيـهـمـوـا مـسـالـكـ الآـخـرـين أوـيـطـعـنـواـفـيـهـاـ، وـيـسـعـونـإـلـى إـكـمـالـالـنـقصـ إنـوـجـدـوـرـأـبـالـصـدـعـوـالـإـصـلـاحـ ماـاستـطـاعـواـلـذـلـكـ سـيـلـاـ).^(١٥) وـجـعـلـ اـخـتـلـافـهـمـ يـنـحـصـرـ فـي الـوـسـائـلـ لـفـي الـأـسـسـ وـالـغـايـاتـ وـأـنـيـحـسـنـواـإـلـى بـعـضـهـمـ وـيـجـعـلـوـاـقـولـ الرـسـولـ صـلـى اللهـ عـلـيهـ وـسـلـمـ ((الـحـبـ فـي اللهـ وـالـبغـضـ فـي اللهـ))^(١٦). أـسـاسـالـتـعـاملـ بـيـنـهـمـ). إـلـى خـلافـ سـلـيـيـ يـسـوـدـهـ التـنـازـعـ وـالـشـقـاقـ وـالـتـعـصـبـ وـتـشـنـيـعـ الـمـخـالـفـ وـتـخـرـيـبـ مـسـلـكـهـ وـهـدـمـهـ^(١٧).

وـقـدـنـبهـتـ رسـائـلـ النـورـ عـلـى ضـرـورـةـ حلـالـخـلـافـ لـاـسـيـمـاـ أـنـهـ يـسـبـبـ لـلـأـمـةـ الـإـسـلامـيـةـ الرـكـودـ وـالتـخـلـفـ^(١٨). وـيـشـعـ الجـهـلـ وـالـتـعـصـبـ بـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ الـأـمـرـ الـذـيـ جـعـلـ الـغـربـ يـحـمـلـ ظـنـاـ خـاطـئـاـ بـأـنـالـإـسـلامـ هوـمـنـيـعـنـ الـاستـبـادـ الـذـيـ شـاعـ فـيـ الـمـجـمـعـاتـ الـإـسـلامـيـةـ فـيـ عـصـرـنـاهـذـاـ^(١٩).

وـدـعـتـ رسـائـلـ النـورـ الـمـسـلـمـيـنـ إـلـى ضـرـورـةـ إـنـهـاءـ النـزـاعـاتـ وـنـيـذـ الـمـسـائـلـ الـجزـئـيـةـ وـالـعـودـةـ مـنـ جـديـدـإـلـىـ قـوـةـ الـعـقـيدـةـ وـالـتـرـابـطـ بـرـوـابـطـ الـإـيمـانـ وـالـأـخـوـةـ^(٢٠). فـضـلـاًـعـنـ حـدـيـثـهـاـعـنـ

أنواع أخرى من الاختلافات لاسيما الاختلاف بين الدعوة والجماعات الإسلامية والاختلاف بين المدارس الدينية والمدارس الحديثة والتکايا والزوايا وغيرها^(٢٢).

سبل مكافحة الأعداء الثلاثة في منظور رسائل النور

سبل مكافحة الجهل

الجهل درجات ومراتب وأنواع، ودر كها الأسفل ماتعلق بجهل الدين وحقيقته ومنتج عنه من مخالفة الشريعة. والذي أثار بديع الزمان سعيد النورسي في عصره هو إهمال المعرفة الدينية وخاصة في صفوف الشباب مما حدا به إلى تأسيس مدرسة النور المنتشرة في باقى الأرض الواسعة، فكتابة الرسائل واستقطاب التلاميذ بأعداد كبيرة كان إسهاماً إصلاحياً متميزاً في حياة الأتراء وحياة الإنسانية عامة.

ولعل المطلع على الرسائل في تفاصيلها يدرك جيداً الأهداف العملية التي توخاها الأستاذ سعيد النورسي من مكافحة الجهل. فقد كان يرمي إلى إصلاح البنية التعليمية الدينية شكلاً ومضموناً فدعاه إلى:

١ - **علاج الجهل بسلاح المعرفة:** فعلاج الجهل الذي هو أساس كل سوء يكون بالعلم والمعرفة وتأسيس المدارس والمراكز التعليمية الدينية التي تجمع بين العلوم الدينية والدنيوية، وإنهاء التباين في الأفكار بين المؤسسات التربوية والدينية الثلاثة من حيث تدريس العلوم الدينية في المدارس الحديثة تدريساً حقيقياً وتحصيل بعض العلوم الحديثة في المدارس الدينية وتواجد علماء متبحرين في التکايا والزوايا^(٢٣)، وأن تتسلح الدول بسلاح العلم فيه القوة الحقيقة ذلك لأن "الحكومات التي تستند إلى القوة ستتشيخ مثلها في ذلك مثل قوتها بسرعة، ولكن لما كان شأن العلم ومجده في تزايد مستمر، فإن الحكومات التي تستند إلى العلم ستكتب لها حياة أبدية"^(٢٤). فعلاج الجهل يكون إذن بسلاح المعرفة.

٢ - **تفعيل دور المؤسسات العلمية الإسلامية التربوية:** وقد أفردت رسائل النور مساحة واسعة منها بحث فيها شروط نجاح المؤسسة التعليمية بشكل يتناسب مع حاجة طالب العلم ومع حاجة أو متطلبات هذا العصر، فقد نصحت الرسائل طالب أي علم لاسيما

طلاب العلوم الدينية أن يتخد علمًا من العلوم أساساً له ويأخذ خلاصة من كل علم من العلوم المتعلقة به لإتمام صورة ذلك العلم، وأن يهتم بالعلم الذي هو أهل لقدرته وبما هو مستعد للقيام به وترك العلوم التي لا يكون أهلاً بستيعابها أو الإحاطة بمداركها، فيكون الطالب عندئذ أقدر على محبة الصنعة وأقدر على احترام مقاييسها وفناء في إتقانها وإنما سيضيق قدراته في أمور هي خارجة عن نطاق قدراته وسيشوه الصنعة التي لا يميل لها لأنها خالف الفطرة....^(٢٥)

٣- فتح طريق لجريان العلوم الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية، بفتح نبع صاف لتلك العلوم بحيث لا ينفر منها أهل تلك المدارس^(٢٦):

اجتهد النورسي رحمه الله لصلاح نظام التعليم عند المسلمين لتسير فيه العلوم المادية والفلسفية الإنسانية في توافق واتلاف مع القرآن الكريم والسنّة النبوية. تقول ماري ويلد: "يقسم بديع الزمان تاريخ الإنسانية إلى تيارين، أحدهما تيار النبوة والأخر تيار الفلسفة والعلوم، ويربط كلا التيارين بذات الإنسان ويصور نتائج كلا التيارين. فالنبوة التي تمثل الوحي الإلهي تخاطب قلب الإنسان، أما الفلسفة فتخاطب عقله، والهدف هو اتفاق الإثنين، أي قيام الفلسفة باتباع الدين واتباع النبوة وخدمتها، وكلما تم هذا ذاقت الإنسانية طعم السعادة وعاشت في انسجام وتناغم. وعندما يفترق أحدهما عن الآخر ينسحب الخير والنور إلى جانب النبوة، ويترك الشر والضلال - كما حدث في الغرب - في جانب الفلسفة"^(٢٧) فبهذا يؤلف بين الدين والدنيا وبين العلم والقرآن، فيكون علماء الحياة والكون بمنزلة الوجهين للعملة الواحدة، لأن كل طائفة ترى الحاجة بها إلى الطائفة الأخرى، فتصلح الواحدة بالأخرى. يقول رحمه الله: "ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلم الحديث، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميم في ذاك"^(٢٨).

٤- فكرة تأسيس مدرسة الزهراء: يرى النورسي أن تدرس الدين في المدارس العلمية والتكنولوجية الحديثة يغضم الطلبة من الشك والإلحاد، وتدرس العلوم الحديثة في مدارس الشريعة يغضم طلبتها من التعصب وضيق النظر، فيلتقي الفريقان على سبيل وسط. وقد بدأ النورسي بنفسه فاطلع على العلوم الحديثة، وكانت له في التدريس طريقة مختلفة عما كانت عليه في عامّة المدارس الشرعية، فكان يجمع بين الوحي وبين حقائق الكون والحياة كما عرفها

الإنسان من خلال وسائل البحث العلمي عبر العصور. وفي تأليفه لرسائل النور تجده يجمع بين حجة الوحي المقررة وحقيقة الحياة والكون المنظور، فكانت العلوم الحديثة تسير من وراء الوحي وتشهد لحقائقه وتؤيد أحکامه^(٢٩).

و عمل طول عمره على أن يسود هذا النظام في التعليم واجتهاد وسعه لإنشاء - جامعة الزهراء - يتم فيها الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا، ويقرأ فيها الوحي المنزل والكون المخلوق^(٣٠).

سبل مكافحة الفقر

قدم النورسي منهجه لمعالجة الفقر، وقد ركز فيه على الجانب الروحي الإيماني، كما يلي:

أولاً: الإيمان ب الله: فالإيمان بالله علاج لكل مرض مادي، وفي هذا يقول النورسي: "نعم، إن ألم الأمراض المادية الجزئية يذوب وينسحق تحت وابل السرور المعنوي والشفاء للذين، والقادمين من الإيمان"^(٣١).

ويعلل النورسي آثار هذا الإيمان في النفس الإنسانية تعليلاً تربوياً، وذلك بقوله: "إن الإيمان ب الله الخالق الرحيم هو الذي يجعل أرواحهم تنبسط، وقابلياتهم تنموا، ومواهبهم تتربي بسعادة - بما يكمن فيهم من ضعف وعجز - ويستطيعون أن ينظروا إلى الحياة نظرة اشتياق بتلقين التوكل الإيماني والتسليم الإسلامي تلقيناً يمكّنهم من أن يصدروا إزاء ما ستواجههم من أحوال وأهوال"^(٣٢).

ثانياً: الإيمان باليوم الآخر: الإيمان باليوم الآخر كفيل بتحليل الفرد والمجتمع من المشكلات الاقتصادية الداخلية والخارجية، وقد سماه النورسي بـ: "نقطة استناد البشر"، فقال فيه: "إن نقطة استناد البشر عند مهاجمة المصائب والأعداء من الخارج والداخل، مع عجزه وقلة حيلته، وكذا نقطة استمداده لآماله غير المحدودة الممتدة إلى الأبد مع فقره وفاقته، ليس إلا معرفة الصانع والإيمان به والتصديق بالآخرة، فلا سبيل للبشرية المتقططة إلى الخلاص من غفوتها سوى الإقرار بكل ذلك"^(٣٣).

ثالثاً: الدعاء المستمر والتضرع إلى الله تعالى: وفي الدعاء مزيد من إظهار الفقر المعنوي وال الحاجة إلى الله تعالى، والتضرع وسيلة لاستدرار الرزق، وقد عبر النورسي عن ذلك بقوله: ((وحيث إن الإنسان متعرض لملايين حصى من أنواع البلايا والمطالب ومحاجمة الأعداء لما يحمل من عجز مطلق، ولهم طالب كثيرة و حاجات عديدة مع أنه في فقر مدقع لا نهاية له، لذا تكون وظيفته الفطرية الأساس: الدعاء بعد الإيمان، وهو أساس العبادة ومخها)) (٣٢).

وبهذا ترى أن النورسي قد حل مشكلة الفقر إلى نعمة تبقي المسلم في تذكر دائم لخالقه، وتضرع خالص لرازقه، فهو يأخذ بالأسباب الالزمة، ويستسلم للقدر، ويتشوق لرحمة ربها.

رابعاً: الصوم وأداء الزكاة يوثقان العلاقة بين الأغنياء والقراء ويعالجان أسباب الفقر: يشير النورسي إلى كفاية التشريعات الإسلامية للقضاء على الفقر، وقدرتها على علاج مشكلاته، فالزكاة من أنجح الوسائل في ذلك، وفيها توثيق العلاقة بين الأغنياء والقراء، وفي ذلك يقول: "إن الناس قد خلقو على صور متباعدة من حيث المعيشة، وعليه يدعوا الله الأغنياء لمد المعاونة لإخوانهم القراء، ولا جرم أن الأغنياء لا يستطيعون أن يستشعروا شعوراً كاملاً حالات الفقر الباعثة على الرأفة، ولا يمكنهم أن يحسوا إحساساً تاماً بجوعهم إلا من خلال الجوع المتولد من الصوم" (٣٥).

ويبحث النورسي الأغنياء على الصوم، ليكون داعيًّا لهم أن يذلوا أموالهم في الزكاة، فالجوع يجعل الغني يعيش الواقع العملي للفقير، فتتوحد مشاعرهم، ويتجه الغني في أداء الزكاة، فتقوى صلته بمجتمعه، ويشعر الفقير بأن الأغنياء يشاركونه في مشكلاته، يقول في ذلك: "لو تأملت في مساوى جمعية البشر لرأيت أنس أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية، كلمتين فقط: إحداهما: إن شبعـت فلا عليـ أن يموت غـيرـي منـ الجـوعـ. والـثانـيـةـ: اكتـسبـ أـنتـ لـاـكـلـ آـنـاـ، وـاتـعبـ أـنتـ لـأـسـتـريـجـ آـنـاـ. وـالـقـاطـعـ لـعـرـقـ الـكـلـمـةـ الـأـوـلـىـ لـيـسـ إـلـاـ زـكـاـةـ، وـالـمـسـتـأـصـلـ لـلـكـلـمـةـ الثـانـيـةـ لـيـسـ إـلـاـ حـرـمـةـ الـرـبـاـ، إـنـ عـدـالـةـ الـقـرـآنـ تـقـفـ عـلـىـ بـابـ الـعـالـمـ وـتـصـيـحـ فـيـ الـرـبـاـ: مـمـنـوـعـ لـاـ يـحـقـ لـكـ الدـخـولـ! إـنـ الـبـشـرـيـةـ لـمـ الـمـ

تصغ إلى هذا الكلام تلقت صفعه قوية، وعليها أن تصفي إليها قبل أن تتلقى صفعه أقوى

وأمر" (٣٢).

خامساً: معالجة مشكلة الفقر بالحث على العمل: أدرك النورسي أن الكسل سبب أساسى للفقر، فتحث على العمل وأكّد قيمته المعنوية، وأنه يمثل ثقافة التقدم والارتقاء، ولذلك وجه رسالة للكسالى يحفزهم على العمل، ويبيّن أن لذة الأعضاء وسعادتها بإتمام العمل، حيث يقول: "يامن لا يدرك مدى اللذة والسعادة في السعي والعمل، أيها الكسالان اعلم أن الحق تبارك وتعالى قد أدرج لكمال كرمه جزاء الخدمة في الخدمة نفسها، وأدمح ثواب العمل في العمل نفسه... تأمل في وظائف أعضائك وحواسك، ترى أن كلّ منها يجد لذاته متنوعة في أثناء قيامه بمهامه في سبيلبقاء الشخص أو النوع، فالخدمة نفسها والوظيفة عينها تكون بمثابة ضرب من التلذذ والمتعة بالنسبة لها، بل يكون ترك الوظيفة والعمل عذاباً مؤلماً لذلك العضو" (٣٢).

ثم إن النورسي أراد توجيه الأنظار إلى أهمية التكسب في علاج الفقر، فحياة العاطل شقية وضيقة وفقيرة، وحياة الساعي يقطة وهنية وغنية، فهو يقول موضحاً هذا المعنى: "إن أشد الناس شقاءً وأضطراباً وضيقاً هو العاطل عن العمل؛ لأن العطل هو ابن أخ العدم، أما السعي فهو حياة الوجود وحقيقة الحياة" (٣٨).

سبل مكافحة الفرقة

تدعو رسائل النور إلى بناء المجتمع بناء صحيحاً، فتدعو إلى تأمين الراحة العامة والهدوء الاجتماعي، رافضة جميع حركات الهدم والتمزيق، لأنها تؤصل الحركة الإيجابية الفعالة، مناهضة جميعحركات السلبية بتقوية أواصر المحبة والأخوة والترابط والتراحم في بنية المجتمع، وتدعو بقوة إلى الاتحاد والامتزاج، ومن ثم تحارب بضراوة كل دعاوى وأفكار الفرقة التي حاولت إخماد روح الأخوة التي هي أخص خصائص الدعوة القرآنية، ومن ثم فهي تصنع قواعد لبناء الأمة في مقابل دعاوى القبلية والقومية والعنصرية والميلية السلبية والشعوبية (٣٩).

تتعدد في رسائل النور الإشارات والتعبيرات الواضحة الداعية إلى نبذ الخلافات

والنزاعات التي تنشب نتيجة العناد والحسد والنفاق والحقد، وتدعوا إلى التضامن والتعاضد.
ويتمكن استخلاص سبل مكافحة الفرقنة من رسائل النور كالتالي:
أولاً: الاتفاق والاتحاد ورجوع المسلمين في حل مشاكلهم الدينية إلى القرآن الكريم والسنة
النبوية

يكون علاج الاختلاف والتفرقة بالاتفاق والاتحاد ورجوع المسلمين في حل مشاكلهم الدينية إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وأن يأخذوا الأحكام الشرعية والضرورات منها، ليكون العلاج نابعاً من مصادريه الأساس فيتحقق منه نفع عام للمسلمين وتمسك ورغبة وتوجه نحوه مابدلاً من تشتبث المسلمين بين الآف الكتب الفقهية، التي وجب على المسلمين احترامها وتوقيرها هي الأخرى وتحويلها إلى كتب يستشف منها كنز القرآن الكريم وتفسيراته فهي "وسائل شفافة كالزجاج لعرض قدسي القرآن الكريم وليس حجاباً دونه أو بديلاً عنه" (٢٠). ويكون أخذ الكتب الفقهية بطرق تربوية خاصة لتأخذ تلك الكتب مكانها الطبيعي ولتصل في أهميتها مصاف كتب الأئمة المجتهدین من السلف الصالح، على أن يجعل الغاية من قراءتها هي لأجل فهم ما يأمر به القرآن الكريم وليس لأجل ما يقوله صاحب الكتاب نفسه (٢١).

ثانياً: إعلاء الأخوة الإسلامية بين المسلمين

يكون علاج التفرقة بإعلاء الأخوة الإسلامية بين المسلمين وأن يستهدوا بقوله تعالى ﴿وَلَا تَنَازِعُوا فَقْشُلُوا وَلَا تَذَهَّبُوا إِلَيْ رِيحَكُم﴾ (٢٢) الذي يشير إلى التساند والترابط الذي إذا اختلف تفقد الجماعة قوتها ومكانتها، وبالحديث الشريف ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعض)) (٢٣). أي في الاتحاد القوة والعزمة.

ثالثاً: السعي في توحيد الجماعات الإسلامية في المسالك والمشارب

يكون علاج التفرقة بالسعى في توحيد الجماعات الإسلامية في المسالك والمشارب، وانتهاج نهج المحبة فيما بينها وعدم انتقاد أحدها للأخر، واتباع السنة النبوية والامتثال لأوامرها واحتساب نواهيه، وعدم التمايز بين الناس سواء كانوا من الخاصة أو العامة، مع ضرورة المحافظة على النظام العام للبلاد والحرية الشرعية (٢٤).

رابعاً: فکر وإنشاء جامعة إسلامية على غرار الأزهر

تبني النورسي فكرة إنشاء جامعة إسلامية على غرار الأزهر، بحيث تدرس فيها معاً العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية، وذكر فائدة هذه الجامعة بقوله: "قبل خمس وستين سنة أردت الذهاب إلى الجامع الأزهر باعتباره مدرسة العالم الإسلامي، لأنها منه العلوم، ولكن لم يكتب لي نصيب فيه، فهداني الله إلى فكرة وهي: أن الجامع الأزهر مدرسة عامة في قارة أفريقيا، فمن الضروري إنشاء جامعة في آسيا على غراره، بل أوسع منه بنسبة سعة آسيا على أفريقيا، وذلك لثلا تفسد العنصرية الأقوام في البلدان العربية والهند وإيران والقفقاس وتركستان وكردستان، وذلك لأجل إنما الروح الإسلامية التي هي القومية الحقيقة الصائبة السامية الشاملة، فتنازل شرف الامتثال بالدستور القرآني: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٣٥) (٣٦). وهذا يثبت أن منهج النورسي لعلاج الخلاف منهج علمي إيماني تربوي، إذ يبدأ بهذيب نفس الإنسان، ثم ينطلق به إلى قمة سامية بأن يكون أداؤه لمسؤولياته وواجباته الاجتماعية بدافع إيماني داخلي، والأساس الراسخ لهذا المنهج هو: العلم والمحبة والعدل والتعاون بين أفراد المجتمع على البر والتقوى، ثم التعاون والتآلف بين الشعوب الإسلامية من منطلق الأخوة الإيمانية، ولكن الغبن الفاحش حصل لما حالت ظروف العلمنة في الجمهورية التركية دون تنفيذ فكرة هذه الجامعة (٣٧).

فعدم راجعة المادة التي قدمتها رسائل النور عن "مكافحة الأعداء الثلاثة" نجد ما يلي:

- ١- علاج رسائل النور لمشاكل العصر كان بمنهجية شكلت سقفًا راسخاً فوق تاريخ الأمة الإسلامية، معاملة معها بلغة العصر الداخل بصراع في مواجهة جاهلية العصر الحديث.
- ٢- وظفت رسائل النور القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في بناء مادتها، متبعه معها عنصر التدرج في البدء والانطلاق من الجزئي إلى الكل، معدة أن طريق الشريعة الإسلامية وتحقيق الحقائق الإيمانية أقصر الطرق في علاج مشاكل العصر.
- ٣- شخصت رسائل النور الأعداء الثلاثة الفقر والجهل والاختلاف، وعدّتها سبباً رئيساً في ضعف وتأخر المجتمعات الإسلامية، ووضعت الحلول لها ليستهدي بها

- المسلمون و يتخطوا العقبات التي وضعها الاستعمار أمامهم والتي تحول بينهم وبين إعلاء كلمة الله والتغافل في سبيلها.
- ٤- أكدت رسائل النور على قيمة الاخلاص والعمل والعلم، وعدتها أسباباً لتحقيق رقي المجتمعات، وأكّدت على إيمانهم بمبدأ التكامل من حيث ربط العلوم الدينية والعلوم الدينية في سبيل مواجهة جاهليّة العصر.
- ٥- تشخيصها للأمراض الاجتماعيّة بنظرة واسعة وعميقة أو قعدها على حلول ناجمة وسريعة تتخطى بها ما تفرزه تلك الأمراض من آثار سلبية على المجتمعات والتي تكون سبباً في إعاقة نهوضها وتقدمها.

الهوامش والمصادر

- ١- بدیع الزمان سعید النورسی، دیوان الحرب العرفی، استنبول: ١٩٩٠م، ص: ٧٥
- ٢- بدیع الزمان سعید النورسی، دیوان الحرب العرفی، ص: ٧٥ "أخذت هذه العبارة من مقالته المنشورة في "الجريدة الدينية" بتاريخ مارس ١٩٠٩م، عدد: ٧
- ٣- المصدر نفسه، ص: ١٥
- ٤- بدیع الزمان النورسی، الآثار البديعية، ص: ٣٨١
- ٥- بدیع الزمان سعید النورسی، مناظرات، استنبول، ١٩٩١م، ص: ٢٩
- ٦- المصدر نفسه، ص: ٢٩
- ٧- بدیع الزمان سعید النورسی، دیوان الحرب العرفی، ص: ٢٨
- ٨- بدیع الزمان سعید النورسی، الكلمات، استنبول: دار سوزلو للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص: ٢٩٢
- ٩- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٨م، ص: ٥٧
- ١٠- هود: ٢٠
- ١١- بدیع الزمان سعید النورسی، اللمعات، ص: ٢١٢
- ١٢- بدیع الزمان النورسی، الآثار البديعية، ص: ٣٣٩

- ١٣ - بدیع الزمان النوری، ستوحات، انقرة، ٢٠١٤م، ص: ٥٥
- ١٤ - قال الحافظ العراقي سنده ضعيف وذكره آدم بن أبي إیاس في كتاب العلم بلفظ (اختلاف أصحابي لأمتی رحمة) وهو مرسّل ضعيف، ينظر: زین الدین محمد بن علی بن زین العابدین الحدادي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ١، الطبعة الأولى، مصر المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٢ھ، ص: ٣٩
- ١٥ - بدیع الزمان النوری، کلیات رسائل النور (المکتوبات)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط٥، المکتوب الثاني والعشرون، القاهرة: شرکة سوزلر للنشر، ٢٠٠٨م، ٢٣٢٦_٢٣٣٢
- ١٦ - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسنّ الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م، ط٢، رقم الحديث: ١٣٧٢، ٢١٣٥
- ١٧ - بدیع الزمان سعید النوری، المکتوبات، المکتوب الثاني والعشرون، ص: ٣٣٣_٣٣٣
- ١٨ - المصدر نفسه، ص: ٣٣٣، بدیع الزمان سعید النوری، کلیات رسائل النور (سیرة ذاتية)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط٥، القاهرة: شرکة سوزلر للنشر، ٢٠٠٨م، ٣١٢٩
- ١٩ - بدیع الزمان سعید النوری، المکتوبات، المکتوب السادس والعشرون، ص: ٣١٢_٣٢٠، بدیع الزمان سعید النوری، سیرة ذاتية، ص: ٣١٣
- ٢٠ - بدیع الزمان سعید النوری، صیقل الإسلام، المحکمة العسكرية العرفیة، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعه الثالثه، سوزلر للنشر، ٢٠٠٢م، ص: ٣٢٣
- ٢١ - بدیع الزمان سعید النوری، اللمعات، اللمعة الرابعة، ص: ٣١_٣٢
- ٢٢ - بدیع الزمان سعید النوری، دیوان الحرب العرفی، ص: ٨٠، و بدیع الزمان النوری، الآثار البیدعیة، ص: ٣٥٥
- ٢٣ - بدیع الزمان سعید النوری، السیرة الذاتیة، ص: ٢٧
- ٢٤ - بدیع الزمان سعید النوری، صیقل الإسلام، المناظرات، ص: ٣٠_٣٢٨
- ٢٥ - بدیع الزمان سعید النوری، صیقل الإسلام، محاکمات عقلیة، ص: ٢٦_٢٧، والنوری، السیرة الذاتیة ص: ١٧
- ٢٦ - بدیع الزمان سعید النوری، صیقل الإسلام، ص: ٣٣٠
- ٢٧ - ماري ويلد: مؤلفات بدیع الزمان كنموذج لتقديم الإسلام إلى الغرب، مؤتمر بدیع الزمان، النوری-إسنبول، ١٩٩٢م، ص: ٢٢٢_٢٢٣